زوجة وساحرة!

ليست الشغالة السعودية الأنثى الوحيدة التي تلعب أدواراً متناقضة، تجمع بين وظيفتها، وما يضاف إليها من أعباء قدَرية، بسبب نظرة الرجل لها بأعين كثيرة.

وإذا كانت إحصاءات موثقة غائبة عن الساحة السعودية في الوقت الراهن عن عدد الشغالات اللاتي يمارسن أدواراً متباينة بفعل نظرة الرجل المتناقضة للأنثى -أيّ أنثى- فإن السعوديين في منتدياتهم ومجالسهم يتداولون أحاديث هي لمجرد الإمتاع والمؤانسة، إلا أنها في الغالب تجسد حقائق، كثيرا ما تكون مُرّة في اتجاهات مختلفة.

وإذا كانت دراسة حديثة كشفت أن "النساء الجميلات يكسبن دخلاً أعلى بنسبة ١١٪ من العاديات و٢٣٪ من القبيحات! وقبل ذلك أثبتت ملاحظات دائرة العمل الأوروبية أن أصحاب الوجوه الجميلة والقوام الممشوق يحظون بوظائف أفضل ويترقون بشكل أسرع. كما اتضح أن الفتيات الجميلات (ذوات القد الخيزراني) يتواجدن بنسبة أكبر في المكاتب الحساسة ويترقين بسرعة - وكثير منهن يتمنين الزواج من صاحب العمل كما حدث لسكرتيرة بيل

غيتس أغنى رجل في العالم!! "، فإن الشغالة السعودية كثيرا ما ارتقت من خادمة إلى زوجة أو عشيقة أو ساحرة.

لكن السعودية مع ذلك ليست بدعا من العالم الآخر، فوزير العمل بها الدكتور غازي القصيبي الذي يبذل جهودا مضنية في حماية الشغالات والمواطنين من بعضهم، صور في روايته "دنسكو" كيف تلعب "سونيا" مديرة مكتب المدير التنفيذي لمنظمة دولية أدوارا متباينة، حتى انتخبت مديرة للمنظمة، بمؤهلات أبرزها "توزيع القبل"!

كما أن الحملات الأمنية التي أجرتها السلطات السعودية أخيرا في عدد من المدن كشفت عن أسراب من النساء الشغالات، لكنهن في واقع الأمر كن يمارسن أشياء أخرى!

وفي اتصال هاتفي مع "الحياة" تحدث عضو هيئة في أحد ضواحي مدينة الرياض بمرارة عن مأساته وعائلته بسبب "شغالة" لا تريد الاكتفاء بمهنة واحدة، خصوصا إذا كانت من قبيل طبخ الطعام وغسل الآنية.

وتعود تفاصيل معاناة السيد (محسن) ٤٥عاماً إلى عام ٢٠٠٢ عندما نشبت مشاجرة بين ابنتيه الشابتين والخادمة، بسبب ما وصفه بـ "غيرتها من حسنهما وحظوتهما عند الناس"، قام على إثرها بإبعاد الخادمة إلى بلادها، من غير أن يفكر في أمر سوء كانت دبرته للفتاتين (!!) "فلم يمض يوم عن سفرها - والكلام لمحسن - حتى بدأت الفتاتان تصرخان نتيجة ألم حاد في أسفل

البطن، واستمرت المعاناة، رغم مراجعة المستشفيات حتى تذكرنا خلافهما مع الشغالة، وبدأنا في علاجهما بالرقية الشرعية".

ويضيف: "خفت المعاناة قليلاً لكنّ الفتاتين حرمتا من الزواج والعيش باطمئنان، بسبب إجرام الشغالة التي بذلنا كل ما بوسعنا بحثا عنها بعد ذلك، إلا أن المحاولات كلها باءت بالفشل"!

وينصح (محسن) مواطنيه "بتفتيش أي خادمة مريبة قبل تسفيرها، حتى في مناطق جسمها الحساسة، فقد وجدت إحدى العائلات في ملابس خادمتهم الداخلية سحراً كانت تنكره، والبيوت مليئة بالفواجع والمآسي بسبب بعض هؤلاء الخادمات".

ومن ناحيته روى الشاب (خالد) ٢٨ عاماً لـ "الحياة" قصته المثيرة مع خادمة خالته التي قال إنها أغرته أكثر من مرة إلا أنه أصر على تجاهلها "خوفا من الله، ثم الفضيحة".

يحكي أنها " بعد ذلك هددتني بأنها ستعاقبني كما يليق بي، وبالفعل تمكنت من ذلك، على رغم سخريتي منها واستهتاري، سحرتني وأصبحت أقبل الأرض من تحت قدميها أتوسل إليها أن تمكنني من نفسها فترفض، وتتفنن في إذلالي زعما منها أن ستنقاد لرغبتي، لكنها استمرت في تعذيبي النفسي، حتى تفاقمت علتي، واشتكيتها إلى خالتي التي أبعدتها مع الأسف دون أن تفك السحر، ظنا منها أنه مجرد غرام طبيعي، غير مصدقة تفاصيل ماحدث، ومع ذلك الحمد لله مع الرقية واللجوء إلى الله أصبحت الآن أحسن بكثير"!

وإذا تجاوزنا بدهية أن ليس كل الشغالات في السعودية أو أي مكان آخر لسن رمزا دائما للخطيئة، فإن السعوديين أيضا – مثل غيرهم – كثيرا ما يكونون شركاء في ما يصنف مخالفات أو جرائم، تكون الخادمات طرفا فيها.

وتتحدث (أم أحمد) ٢٥ عاماً عن جارتها التي زعمت أن زوجها، طلبت منه السفر إلى " إحدى دول شرق آسيا، ليحضر لها خادمة، وبعد إلحاح منها شديد قبل على مضض، وفعلا أتى بخادمة ذكية ومليحة، ومرت أول الأيام بسلام".

وتمضي أم أحمد على لسان صديقتها قائلة:" بعد مرور نحو أربعة أشهر خرجت إلى عملي ذات يوم، فبدا لي أن أعود، لا أذكر ماذا نسيت، وكان اعتقادي أن زوجي هو الآخر اتجه إلى عمله، لكن الذي حدث أنه يمارس أشياء أخرى مع الخادمة في ذات الغرفة التي كنت أحسبها لي وحدي".

وزادت: " لم أتمالك نفسي. صرخت بأعلى صوتي: أمنك يحدث مثل هذا العار؟ كنت مصدومة ومجروحة وحائرة. ماذا حدث لفلان؟ غير أنه قطع صوت آلامي بصك زواج له مع خادمتنا أشهره في وجهي. بقيت مصرة على أن تسفر في الحال. وقلت له: ترغب زوجة أخرى ابحث عنها، أما أن تكون شغالتي ضرتي، فذلك مستحيل".

بالطبع ستتجه الخادمة المسكينة إلى عاصمة بلادها فوراً، بفعل شبق "عمها" الذي يزعم أنه يمارس حقه الشرعي. وهكذا

تبقى الشغالة السعودية ظالمة ومظلومة، إلى أن تخدم الأنثى السعودية نفسها، ويكف "أصحاب العمل" عن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وجعله بين عباده محرماً!.